

العلماء أمناء الله على خلقه وهو شرف عظيم ومحل لهم في الدين خطير

مواقف من السيرة تجارة النبي لخديجة وزواجه منها

كانت خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- امرأة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال لمتجروا بمالها، فلما بلغها عن محمد -صلى الله عليه وسلم- صدق حديثه، وعلم أمانته، وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يخرج بمالها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما تعطى غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة، وقدم الشام، وباع محمد- صلى الله عليه وسلم -سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد من السلع، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها.

وقد حصل محمد- صلى الله عليه وسلم - في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها فيما بعد، وجعلها مركزا لدعوته، وبالملاذ التي فتحها ونشر فيها دينه، كما كانت رحلته سببا لتواجه من خديجة - رضي الله عنها-بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكرم أخلاقه، ورأت خديجة في مالها من البركة ما لم تر قبل وأخبرت بشماثله الكريمة، ووجدت ضالتها للشهوة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقها نفيسة بنت منبه، التي ذهبت إليه فطافحه أن يتزوج خديجة -رضي الهل عنها فرضي بذلك، وعرض ذلك على أعمامه، فوافقوا كذلك، وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها إليه، وتزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم -وأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت - رضي الله عنها-، وقد ولدت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع بنات، وأبناهما هما القاسم، وبه كان -صلى الله عليه وسلم يكنى وعبدالله، ويلقب بالطاهر والطيب. وقد مات القاسم بعد أن بلغ سنا تمكنه من ركوب الدابة، ومات عبدالله وهو طفل، وذلك قبل البعثة.

أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة - رضي الله عنهن-، وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن. هذا وقد كان عمر الرسول -صلى الله عليه وسلم -حين تزوج خديجة -رضي الله عنها- خمسا وعشرين سنة، وكان عمرها أربعين سنة.

فوائد وعبر

1- إن الأمانة والصدق أهم مواصفات التاجر الناجح، وصفة الأمانة والصدق في التجارة في شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم - هي التي رغب السيدة خديجة - رضي الله عنها - في أن تعطيه مالها لمتاجر به ويسافر به إلى الشام، فبارك الله لها في تجارتها، وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.

2- إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله سبحانه وتعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة، وقد تدرّب النبي - صلى الله عليه وسلم على فنونها، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يحضر مع الصديقين والشهداء والنبيين - وهذه المهمة مهمة للمسلمين ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه ويحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته.

3- كان زواج الحبيب المصطفى - رضي الله عليه وسلم - من السيدة خديجة - رضي الله عنها - بتقدير الله تعالى، ولقد اختار الله سبحانه ونعاهي لنبية زوجته لخاسبه وتوازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش هموه.

قال الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله-: وخديجة - رضي الله عنها - مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات - صلوات الله وسلامه عليهم - يحسون قلقا شديدا للحساسية، ويلقون غيما بالغما من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادا كبيرا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإنكاس والتركيب، وكانت خديجة - رضي الله عنها-سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد- صلى الله عليه وسلم- أثر كريم.

أبو بكر الصديق صاحب النبي « المطلق »

الفضيلة في الغار قفارة بخص القترن، وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر، قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». وهذا الحديث مع كونه مما انلق أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول، فلم يختلف في ذلك اتقان منهم، فهو مما يدل القترن على معناه، أنه صاحبه المطلق لقوله تعالى: «إذ يقول لصاحبه» لا يخص بمصاحبه في الغار: بل هو صاحبه المطلق الذي عمل في الصحبة، كما لم يشركه فيه غيره فصار مختصا بالأكلية من الصحبة، وهذا مما لا نزاع فيه بين أهل العلم بأحوال النبي، ولهذا قال من قال من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره.

أته المشفق عليه لقوله تعالى «لا تحزن» فهو يدل على أن صاحبه كان مشفقا عليه محبا له، ناصرا له حيث يحزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه، وكان حزنه على النبي لئلا يقتل ويذهب الإسلام، ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة كان يمشي أمامه تاردا، ووراء تاردا، فسأله النبي عن ذلك، فقال: أذكر الرصد فاكون أمامك، وأذكر الصلح فاكون وراءك، وفي رواية أحمد في كتاب «فضائل الصحابة»: فعمل أبو بكر يمضي خلفه ويمضي أمامه، فقال له النبي: «ما لك؟» قال: يا رسول الله، إذا كنت أمامك خشيت أن تؤذي من وراءك، وإذا كنت خلفك خشيت أن تؤذي من أمامك، قال: لما انتهبنا إلى الغار قال أبو بكر: يا رسول الله، كما أنتت حتى أقفد.. فلما رأى أبو بكر جحرا في الغار فالفهما قدامه، وقال: يا رسول الله، إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي فلم يكن يرضى بمساواة النبي: بل كان لا يرضى بأن يقتل رسول الله وهو يعيش، كان يخاف أن يلغيه بنفسه وأهله وماله، وهذا واجب على كل مؤمن، والصدیق أقوم المؤمنين بذلك.

المشارك له في معية الاختصاص لقوله تعالى «إن الله معًا» صريح في مشاركة الصديق للنبي في هذه المعية التي اخص بها الصديق لم يشركه فيها أحد من الخلق، وهي تدل على أنه معهما بالنصر والتأييد، والإعانة على عودهما، فيكون النبي قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك في أبا بكر، ويعيننا عليهم، نصر إكرام ومحبة، كما قال الله تعالى: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم نقوم الأشهاد» وهذا غاية المدح لابي بكر إذا دل على أنه من مثل الرسول بالإنيمان المقتضي نصر الله له مع رسوله في مثل هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مَنْ يَرِدِ اللَّهَ بِرَأْسِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ

منفق عليه

قال علي بن أبي طالب: من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله

لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم . ومع هذا فقد قال تعالى: «يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم، ومعولم أن جهاد المنافين بالجهة والقرآن.

والمقصود أن سبيل الله هو الجهاد، وطلب العلم، ودعوة الخلق به إلى الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا لخير يعلمه أو لعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل الذي ينظر إلى منافع غيره...»
خامس عشر: شرف العلماء ببذل علمهم وحسن الناس على التفاس في وجوه الخير . عن عبدالله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فأسلته على خفته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

قال علي بن أبي طالب: ومن شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك، وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجبل عز عليه ونال ذلك من نفسه، وإن كان جاهلا.

ثالث عشر: العلماء هم أكثر الناس خشية من الله تعالى قال الله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء». وقال تعالى: «إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا بُتِيَ عليهم بأخرون لأذقان سجيًا ويقولون سِجَانٌ رُبْنَا أن كَانَ وَعَدَ رَبْنَا لَفَعُولًا وَيُخَيَّرُونَ لَلْأَذْقَانِ يَكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا».

رابع عشر: العلماء من الفضل المجاهدين إذ من الجهاد، الجهاد بالجهة والبيان، وهذا جهاد الأئمة من ورثة الأنبياء، وهو أعظم منفعة من الجهاد بالميد واللسان، لشدة مؤنته، وكثرة العدو عليه.

قال تعالى: «ولو شئنا لبعدنا في كل قرية ذئيرا فلا تلعب الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا». يقول ابن القيم: «فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الفعلاء، وهو جهاد المنافين أيضا ، فإن المنافين

الله امرا سمع مقالتي فليلها، فرب حامل فقه غير فقيه، رب حامل فقه إلى من هو أفقه».
خادي عشر: مئة الله على انبيائه بالعلم ومن شرف العلم وفضله أن الله آمن على انبيائه ورسله بما اتاهم من العلم، دلالة على عظم المنة.

ذكر نعمته على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى: «وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما». وعلى خليله إبراهيم قال تعالى: «إن إبراهيم كان أمة قائمة لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه». وعلى نبيه يوسف «ولما بلغ أشده وعلما وكذلك نجزي المحسنين». وعلى المسيح عيسى بن مريم: «يا عيسى بن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدك إذ أبدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ عاتك الكتاب والحكمة والنفوة والإنجيل».

خامس عشر: شرف الانتساب إليه قال علي بن أبي طالب: «نضر

، ولذلك استحق أن يكون يأخيث المنازل، والعباد بالله.

وجعل العالم يعرف قدر المال الحقيقي، فم ينطق؟ فليعلم نوى نية صادقة فصار باعلى المنازل، وإن لم ينطق.

ثامسة: الاستغفار للعالم ويكفي صاحب العلم فضلا أن الله يسخر له كل شيء ليستغفر له ويدعو له، فمن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر».

تاسعا: طلبه العلم هم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيأتيكم الأيام بطليون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبا بوصية رسول الله وانفوهم- علموهم».

عاشرا: إشراقه وجود العلماء ونخسارتها وأهل العلم الذين يملكون الناس شرع الله تعالى هم أنضر الناس وجوها، وأشرفهم مقامًا، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم.

قال صلى الله عليه وسلم: «نضر

رحمة الله تنزل

على العالم والمتعلم

.. والمرحومون

من الناس صنفان

أهل العلم وطلبته

والذاكرون الله كثيرا

يكفي صاحب العلم

فضلاً أن الله يسخر

له كل شيء ليستغفر

ويدعو له

لا حسد إلا في

اثنتين رجل آتاه

الله مالا فسلطه على

هلكته في الحق ورجل

آتاه الله الحكمة فهو

يقضي بها ويعلمها

نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمه فصر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها. وأحدثكم حديثا فاحفظوه

قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يقني فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما، ولم يرزقه علما ، فهو يخطئ في ماله يغير علم ، فهو فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخيث المنازل .وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما، فهو يقول: لو أن لي مالا لعلمت فيه يعمل فلان ، فهو يئينه فوزهما سواء.

والشاهد هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل العلم الحقيقي هو العلم الذي يبصر المرء بحقائق الأمور، فأصبح المال إذا لم يتحل بالعلم فإنه سميء التصرف فيه، فتجدده ينقله على شبهات نفسه، ولا يعرف شكر هذه النعمة

فضل الله العلماء وجعلهم خير خلقه وخاصته ونسبهم إليه، حتى أنه سبحانه جعل الملائكة والحيثان والشمل يستغفروا للعالم ومن الفضائل التي خص الله بها العلماء:

أولا: العلماء هم الثقات قال الله تعالى: «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم».

فأهل العلم هم الثقات العدول الذين استشهد الله بهم على أعظم مشهود، وهو توحيد جل وعلا .
ثانيا: مديح الله تعالى للعلماء وقد مدح الله أهل العلم واتى عليهم، فجعل كتابه آيات بينات في صدورهم ، به تتشرح ونفخ وتسعد.

قال الله تعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد باياتنا إلا القائلون».

ثالثا: العلماء ورثة الأنبياء وهم أهل الذكر، الذين أس الناس بسؤالهم عن عدم العلم قال الله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون».

رابعا: رفع درجات أهل العلم والإيمان خاصة قال تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات».

خامسا: لا ينقطع عمل العالم بموته بخلاف غيره ممن يعيش ويموت ، وكانت من سبيل للقاء ، أما أهل العلم الربانيون الذين ينتفع بعلمهم من بعدهم هؤلاء يضاعف لهم في الجزاء والأجر شريطة الإخلاص وستحدث عن هذه النقطة مطولا في المقالات التالية إن شاء الله تعالى.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

سادسا: رحمة الله تنتزل على العالم والمتعلم وكل ما في الدنيا هالك وإلى زوال، تنتزل على العلمت، والمرجوم من ذلك صنفان من الناس: أهل العلم وطلبته، والعابدون الذاكرون الله كثيرا.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إلا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم».

سابعًا: بالعلم يكثر أجر العامل وبالعلم يعظم أجر المؤمن، ويصبح دينه، فيحسن عمله، وإذا كان الناس لا يشغفون بالمال عن العلم، فإن فضل العلم على المال أعظم، وقد فصل لنا الشرع في هذه القضية، فقد قسم رسول الله الناس على أصناف أربعة، جعل الناجين منهم صنفين، وهما من تلث بالعلم.

فمن أبي كبشة الأنباري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه. قال: ما

دروس من سورة النور

لا يزني الزاني وهو مؤمن

«سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون»، مطلع فريد في القرآن كله الجديد فيه كلمة «فرضناها» والمقصود بها - فيما تعلم - توكيد الإخذ بكل ما في السورة على درجة سواء. ففرضية الآداب والأخلاق فيها كفرضية الحدود والعقوبات. هذه الآداب والأخلاق المركورة في الطهارة، والتي ينشأها الناس تحت تأثير المغريات والانحرافات، فتذكرهم بها تلك الآيات البينات، وتردهم إلى متعلق الفطرة الواضح المبين.

حد الزنا

وينبع هذا الملغ الغوي الصريح الجازم ببيان حد الزنا، وتقتلع هذه الفعلة التي تطلع ما بين فاعليها وبين الأمة المسلمة من وشائج وأرتباطات: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا يتكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا يتكحها إلا زان أو مشرك، وحرم ذلك على المؤمنين». كما حد الزانيين في أول الإسلام ما جاء في سورة النساء: «واللذان يأتان الفاحشة من نسائك فاستشودا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سيلا». فكان حد المرأة الحسنى في البيت والأذى بالتعبير، وكان حد الرجل الأذى بالتعبير.